الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

ظاهرة اليأس في الشعر المهجري

ميخائيل نعيمة "نموذجاً"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الليسانس في اللغة العربية و آدابها

إعداد الطالبة:
شائش طاوس

إشراف الأستاذ:
سويلم مختار

السنة الجامعية: 1433هـ-1434هـ
2012م - 2013م

بسم الله الرحمن الرحيم

جدول الاختصارات المستعملة في البحث

المختصر	أصله
مج	مجلد
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
مر	مراجعة
تح	تحقيق
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ
تر	ترجمة
تق	تقديم

الحمد لله الذي جعل العربية لغة القرآن وألهم نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم سرّ الفصاحة وجمال البيان.

من طبيعة الحياة التجدد والحركة المستمرة، والأدب بجميع ألوانه صورة له، والشعر فن من الفنون التي خضعت لهذا التطور شكلا ومضموناً عبر العصور، إذ هو لا غاية له غير التعبير عن الذات في لحظة الكشف والرؤيا فهو يخاطب الذات والعقل معاً، وطبعاً هذا لايعني الانفصال عن القديم، فالتجربة الشعرية ما زالت ممتدة من التراث إلى المعاصرة تشهد ترابطاً وثيقاً فيما بينها، لم يكن هذا صدفة بل جاء قصداً فالمتأمل أو الدارس لظاهرة " **اليأس في الشعر المهجري** " يرى أنها تجلت عندهم فهم يجسدونها من خلال تعبيرهم عن أحزانهم، ومعاناتهم الخاصة ومن أبرز هؤلاء الشعراء: ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، أمين الريحاني...هؤلاء الشعراء الذين تلونت قصائدهم الشعرية بصبغة رومانسية، وفيها يبدو حنانهم للطبيعة وبخاصة ميخائيل نعيمة الذي اخترته نموذجاً، وقد اقتصرت الدراسة على قصيدته "النهر المتجمد"، لما تشتمل عليه من مظاهر لليأس والحزن، فلو تمعنا في العنوان: "النهر المتجمد" لكان دليلاً كافياً على ما نعتقده، فما بالك لما جاء في هذه القصيد.

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع دوافع هي:

- معرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور اليأس في نفسية شعراء المهجر؟
- ولماذا اختار الشعراء المهجريون طريق الهجرة على البقاء في البلاد؟
- ما هي خصائص هذا الشعر؟

وإنطلاقا من أسباب إختياري للموضوع كانت هناك إشكاليات منها: ماهية الشعر المهجري، خصائصه، ماهية اليأس، وكيف تجلى اليأس عند ميخائيل نعيمة في قصيدة النهر المتجمد؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات ومناقشتها وضعنا خطة مبناها مبحثين، في الأول منهما تطرقنا لنشأة الشعر المهجري وخصائصه، أمّا المبحث الثاني فمثل الجانب التطبيقي للدراسة، وفيه قمنا بتعريف

اليأس، والتعريف بالقصيدة المختارة، وهي بعنوان "النهر المتجمد" وتحليلها لتبيان مواطن اليأس فيها.

وكان المنهج المتبع والملائم لطبيعة الموضوع وصفي تحليلي.

وأمّا عن الصعوبات والعوائق التي اعترضت سبيلنا في تحقيق هذا العمل: هو جدّة الموضوع وقلة المصادر والمراجع المتعلقة به، وفي هذا المقام يمكن القول:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلاّ لصابرٍ

وأخيراً أشكر الأستاذ سويلم مختار لموافقته على الإشراف، كما أشكر كل من قدم لي يد العون سواء من بعيدا ومن قريب، خاصة فريد وأ- محمد أحمد جهلان وأ-خرازي مسعود، وكل هؤلاء جميعاً مني جزيل الشكر والعرفان.

مدرسة "شعراء المهجر" إحدى المدارس الشعرية في حركة الشعر في العصر الحديث، وهي مدرسة لها سماتها وخصائصها المميزة، ولها مذهبها في فهم الشعر وخطوات التجديد فيه، ويرجع قيام هذه المدرسة الشعرية المهجرية إلى أفواج كبيرة من أبناء البلاد العربية وبخاصة من سوريا ولبنان إلى العالم الجديد، في أواخر القرن التاسع عشر، وفي أوائل القرن العشرين، حيث نزلوا في كندا والولايات المتحدة الأمريكية وفي دول أمريكا الجنوبية، وبخاصة: البرازيل والأرجنتين وشيلي وفترويلا والمكسيك، ونقلوا اللغة والأدب العربي إلى تلك المهاجر البعيدة، وكان من بين المهاجرين أدباء وشعراء أشهرهم: ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، وقد أنشأو في تلك الديار النائية أدباً يعبرون به عن مشاعرهم، وكتبوا شعراً يصورون فيه عواطفهم، ومختلف أحاسيسهم وتجاربهم ويتحدثون فيه عن غربتهم وحنينهم إلى الوطن، ويصفون فيه حياتهم وما تعرضوا له من عناء وشقاء وتجارب مريرة مثيرة، وكان أدبهم هذا هو أدب المهجر، وشعرهم هو الشعر المهجري الذي أصبح مدرسة شعرية من مدارس الشعر الحديث، وقد ولد هذا الشعر والأدب مع القرن العشرين ثم نشأ ونما وترعرع وأزدهر، حتى بلغ ما بلغ في الثلاثينات وما بعدها.[1]

[1] ينظر، خفاجي محمد، مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2004، ص: 29، 30.

المطلب الأول: نشأة الشعر المهجري

1)مفهوم الهجرة:

أ)– **لغة:** جاء في لسان العرب، في مادة "هجر" الهجر ضد الوصل، وبمعنى آخر هو: الخروج من أرض إلى أرض.

و المهاجرون: الذين خرجوا مع" النبي صلى الله عليه وسلم" من مكة إلى المدينة مشتق منه، و تهجر فلان أي تشبه بالمهاجرين.[1]

هجر الرجل هجرا أي ابتعد و نأى[2]

ب)– اصطلاحا: أما الهجرة في الاصطلاح: هي تغيير الإقامة من بيئة إلى أخرى أو من وطن إلى آخر بصدد العمل، و الإقامة أو كلاهما[3].

1) أسباب الهجرة:

«لقد شابهت هجرة الأدب العربي إلى أمريكا الشمالية و الجنوبية في العصر الحديث، هجرة الآداب العربية كذلك إلى بلاد الأندلس في آخر القرن الأول الهجري و أوائل القرن السابع الميلادي، فالأدب المهجري صنو الأدب الأندلسي، كلاهما عاش في بيئة جديدة ، و أحدث أثرا ودويا ضخما في حياة الأدب العربي ومقوماته، فالأدب المهجري نشأ من هجرة أفراد و جماعات إلى أرض العالم الجديد وعاش في بيئة لا يملك الناطقون بالعربية فيها نفوذا و لاجاها و لا ثراء»[4]

«وقد كان بعض الأدباء يشعرون بالغربة الفكرية في أوطانهم للبعد بين أفكارهم و أفكار مجتمعاتهم و بيئاتهم في البلاد العربية، فهاجروا ليجدوا الحرية الفكرية و الوئام العقلي في مجتمع جديد يقول الدكتور" أحمد زكي أبو شادي" (ت: 1925 م) الشاعر المصري الذي هاجر في أفريل 1946م.

---

(1) ابن منظور،لسان العرب،تح/عامر أحمد حيدر،مر/عبد المنعم خليل ابراهيم،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،ط1 ،2005 مج3، مادة: هـــ، ج، ر، ص: 515.

(2) المصدر نفسه ،ص: 516.

(3) بوناح كمال، بعض المفاهيم و المقاربات الخاصة بدراسة الهجرة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ع 24 ديسمبر 2005، ص: 120.

(4) خفاجي محمدعبد المنعم، قصة الادب المهجري، دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط3،1980،ص: 09.

"وغربة الفكر في دار يمجدها أقسى على الحرّ من فقدان ناظره"» [1]

بين الشاعر بأن الحسرة و الألم في هجرة ذوي الأفكار و النوابغ أشد وطأة و قسوة من فقدان هذا المفكر النابغ من فقدان بصره.

وأكثر المهاجرين من العالم العربي إلى أرض العالم الجديد كانوا من أبناء سوريا و لبنان، وقد دفعتهم إلى هذه الهجرة البعيدة عوامل كثيرة يمكن أن نبوبها في ثلاث عناصر أساسية منها: سياسية و اقتصادية، وتاريخية قديمة، بالإضافة إلى يسر وسهولة الهجرة، وغير ذلك.

أسباب سياسية:

«من بينها الحكم العثماني في بلاد المشرق، و الشام بالخصوص يشهد التأزم والعنف لطبيعة التركيبة الدينية و الاجتماعية لسكان هذه المنطقة ما يفسر عدم الاستقرار في هذه البلاد، حيث يساق الناس إلى السجون و المعتقلات و المشانق لأوهى الأسباب، و أتفه الوشايات فأخذ الناس يهاجرون إلى مصر و شمال إفريقيا، لأن الحكم العثماني فيها كان عكس ذلك.

وكان حكما نافعا، ومسالما ساهم في ازدهار هذه البلاد، و بسط سيطرتها على غرب البحر الأبيض المتوسط. و من ثم أخذ المهاجرون يتجهون صوب العالم الجديد ناشدين الحرية وطالبين لها وفارين من الظلم و الجور والطغيان السياسي.

يقول: نسيب عريضة: (1887- 1946م) من قصيدته " حكاية مهاجر سوري"

"غريبا من بلاد الشـرق جئت بعيدا عن حمى الأحبـاب عشت
تخذت أمريكا وطنا عـزيـزا فكانت لي كأحسن مـا اتخذت
أتاها للغنى غيري، و إنـي كما جـاءوا مع الإقدام جئت
ولكنى طلبت بهـا حيـاة مع الحـريـة المثـلى، فنلت "» [2]

من خلال الأبيات بيّن نسيب عريضة غربته و بعده عن أرض الأحباب وإتخاذ أرض أمريكا وطنا عزيزا فكان له من الغنى و الحرية ما شاء.

«كما يتحدث "أنيس المقدسي" (1880-1977م) في كتابه " الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث " عن هذا الباعث السياسي، فيقول: (كان الباعث الأكبر على المهاجرة اختلال الأحوال

---

[1] خفاجي محمدعبد المنعم، المرجع السابق ،ص: 10.

[2] المرجع نفسه، ص: 12، 13.

الاقتصادية في السلطنة العثمانية، بفساد الحكومة الاستبدادية، حتى تضعضع الأمن وسادت الفوضى، و درس العلم، وثقلت المعيشة».[1]

أسباب اقتصادية: «حيث الفقر و الشقاء و إهمال الزراعة و الصناعة وشتى مرافق الحياة فالجوع و الحرمان هما مصير الكثير من السكان، لذلك أقبل الناس على الهجرة إلى أرض العالم الجديد وجاء في تقديم ديوان: "إلياس فرحات": (لقد جئنا المهاجر مستجيرين مسترزقين)».

أسباب تاريخية قديمة: «فإن الإنسان السوري واللبناني مولعان منذ القديم بالهجرة، وحبّ السعي في الأرض و الاغتراب، وركوب البحار وحياة العمل والتجارة، وهما من سلالة الفينيقيين القدماء الذين ركبوا البحار، وجابوا البلاد، واشتغلوا بالتجارة...الخ.

بالإضافة إلى هذه العوامل هناك عامل آخر هو سهولة الهجرة إلى هذه البلاد النائية، فلم يكن هناك قيود على الهجرة والمهاجرين إليها »[2]، «غير أن من المهاجرين من هاجر طلبا لحياة جديدة غير الحياة التي كان يحياها في الشرق، أو شغفا بما يسمع عم مظاهر الحضارة فيها، أو طموحا ورغبة في إدراك فرص جديدة أكثر من الفرص المتاحة له في بلاده، يقول شكر الله الجر (1907-1975م) هاجر سنة 1919.

"إيـــه لبـــنان يشهد الله أنـــا ما هجرتك عن قلى و صلابة
إنما أصبح المقام بأرض الـــــ أرز للحـــرّ ذلـــّة ومعـــابة
كـــــيف لا يهجر الأبي مكانا ملأ اليأس جـــوه ورحابه"»[3]

يبرز " شكر الله الجر" في هذه الأبيات حجته من ترك وطنه الذي أصبح العيش للحر فيه ذلة معابة.

يعد " أنطوان البشعلاني" اللّبناني أول مهاجر عربي هاجر إلى أمريكا الشمالية أقام في نيويورك عام 1854م، ومات فيها، ثم تبعه أفواج من المهاجرين فأخذوا يعبرون عن مشاعرهم بالشعر أو النثر.

---

(1) خفاجي محمدعبد المنعم، المرجع السابق، ص: 14.

(2) المرجع نفسه، ص: 15.

(3) المرجع نفسه، ص: 16.

نشأة الأدب المهجري:

«نقل مهاجرو العالم العربي الآداب العربية إلى المهاجر الأمريكية في الشمال والجنوب بانتقالهم من أوطانهم انتقلت معهم لغتهم وثقافتهم وتراثهم و آدابهم (...) حيث بدأوا ينظمون الشعر، كما كانوا في بلادهم، و أخذت تظهر بوادر الحياة الأدبية بين أوساط المهاجرين، وساعد على ظهورها حاجة المغترب إلى التنفيس عن نفسه بإطلاق الحرية لموهبته الأدبية، وإحساسه بالحنين الجارف إلى وطنه، ومسارح ذكرياته، ومواطن أهله وأحبابه وأترابه، ويسمى هذا التراث الذي كتب في المهجر "بالأدب المهجري" حيث صار مدرسة ضخمة، ويعتبر مدرسة من مدارس الآداب العربية المعاصرة». [1]

«ويطلق "الدكتور مندور"(1907م- 1965م) على هذا الأدب (بالأدب المهموس) لأنه يقع في النفس وقع الأسرار التي يتهامس بها الناس، وكلمة الهمس في رأيه هي إحساس بالأدب المصنوع من الحياة كأنه قطعة منها.

ويقول " جورج صيدح" (1893 – 1978م): طبعت شمس الغرب ألوانها على أوراقه: «الأدب المهجري (...) أما لبه فيحيا على إشعاع الشرق، وقلبه يختلج بنسمات الصحراء ويجعل الموهبة الفطرية لا الثقافة هي مفتاح السر، في تفوق أدب المهجر، مع الجد والاجتهاد والتأمل العميق». [2]

ولقد تأثر الأدب المهجري بالمدارس الشعرية الجديدة، في العالم العربي من بينها: المدرسة الكلاسيكية الجديدة المتمثلة في شوقي (1868-1932م) وحافظ.

الجماعات الأدبية العربية في المهجر:

«أدّى ظهور الأدب المهجري إلى عوامل كثيرة منها: الجماعات الأدبية والنوادي والندوات والصحافة، والطباعة، ولقد قام المهاجرون العرب في المهجر بتأسيس مدرسة عربية لتعليم أولادهم، ثم بتكوين جمعيات دينية وخيرية تتولى إعانة ورعاية كل محتاج إليها». [3]

وقد نشأ إلى جانب هذه المدارس جمعيات أدبية كان لبعضها من الشهرة والذيوع والأثر الأدبي الذي خلّد اسمها في الحياة الأدبية المعاصرة ومن أشهرها:

---

[1] خفاجي محمدعبد المنعم، المرجع السابق ،ص: 72.

[2] المرجع نفسه، ص: 73.

[3] المرجع نفسه، ص: 82،83.

الرابطة القلمية:

«هذه الجماعة تنتسب إلى القلم، الذي شرفه " الله" بالذكر في " القرآن الكريم"، و قد أنشئت في (نيويورك) في 20 من أفريل 1920م، و حمل عبء الدعوة إلى تأسيسها الأديب المهجري عبد المسيح حداد (1980-1963م) صاحب جريدة: "السائح"، حيث عقدت الاجتماعات في مترله، حينما اجتمع بعض الأدباء واتفقوا على تأسيس رابطة أدبية. وقد جاءت هذه الفكرة لانتشال الأدب العربي من دائرة التقليد والخمول، ليصبح قوّة فعالة في الأمّة وحياتها فكان غرضهم بث روح جديدة في جسم الأدب العربي »[1]، وقد كان جبران عميدا لهذه الرابطة وميخائيل نعيمة مستشارا لها يقول عيسى الناعوري (1918-1985م) : « إن خمسة من أعضاء (الرابطة القلمية)، وصلت أسماؤهم إلى الشرق العربي أكثر من أسماء زملائهم الآخرين، ونالت حظوظها من التقدير والإعجاب. بمقاييس متفاوتة، ويقصد بهؤلاء الخمسة: جبران ونعيمة وعريضة وأبو ماضي ورشيد أيوب (1972-1941م)، فقد مارست أشعارهم تأثيرات قوية في ساحة الأدب العربي، لما تحتويه من جديد الأفكار والعواطف والخيال والأسلوب».

تميز شعر هذه الرابطة بالنزعة الإنسانية وتمثلت في:

محبة الأوطان: «لأن الشاعر أسير الغربة، وقد أقصته البحار عن وطنه فاشتد شوقه وتعلقه بهذا الوطن، وازداد حنينه لأنه عانى مرارة الغربة، ولوعة الاشتياق، وتظهر هذه المحبة وتلك الأشواق وتصل إلى أشد حرارتها في شعر المهاجرين – عموما – و شعر الرابطيين خصوصا. ففي المهاجر تصطخب أمواج الحياة الحديثة، ويشتد التنازع على الرزق فترى الشعر المهجري يشف عن شعور بوحشة الغريب المفارق، وعن توق عميق إلى الوطن القديم » [2]، وتظهر هذه النزعة في قصائد المهجريين إذ يقول " إيليا أبو ماضي" في قصيدته (بين مد وجزر):

"وسنلتقي و إن افترقنا في غد في حب لبنان وحب الشـــام"

نجد إيليا في هذا البيت يبين أمله على اللقاء رغم الفراق.

---

[1] سراج نادر جميل، شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، مصر، (د.ط)،1964، ص: 83.

[2] العيسى فضل سالم، النزعة الانسانية في شعر الرابطة القلمية، المطبعة العربية، عمان الأردن،(د.ط)،2006،ص: 81.

«و يعتقد أن الرابطة استمرت حية بأعضائها العشرة نحو إحدى عشر سنة، ثم تبعثرت حبّاتها حين راح مقص الموت يقلم أغصان تلك الواحة الفارغة، وهي أسخ ى وأغنى ما تكون الثمار مبتدئا بعميدها».[1]

رابطة منيرفا:

«تنتمي إلى منيرفا "آلهة الحكمة والفنون والحرف اليدوية عن الرومان"، أسسها الشاعر المصري الكبير الدكتور أحمد زكي أبو شادي عام 1948م في نيويورك، وكان رئيسها ونائبه الشاعر"عبد المسيح حداد" انتهت بوفاة رئيسها سنة 1955م. لم يكن لها أثر كبير في الشعر المهجري، وكان من بين أعضائها زوجة الدكتور أبي شادي، كانت تعقد الاجتماعات شهريا في جامعة (كولومبيا)، بنيويورك، وتحتفي بالأدب والشعر».[2]

العصبة الأندلسية:

«إحدى حلقات الأدب العربي المضيئة، ظهرت في وقت كانت فيه الرابطة القلمية تحتضر في المهجر الشمالي، شهدت العصبة النور في مدينة (ساوباولو) بالبرازيل في مطلع جانفي 1933م ويعد شكر الله الجر صاحب الفكرة إلى تأسيسها، أمّا منفذها الفعلي الشاعر اللبناني ميشال معلوف ، يعود سبب تسميتها إلى الجو الإسباني الذي يطبع الحياة العامة في أمريكا الجنوبية. اتسمت هذه الحركة بالهدوء و الاتزان فلم تقابل بموجات النقد، وأنشأت مجلة أدبية تحمل اسمها حيث تولى رئاسة تحريرها المهجري " حبيب مسعود" ويلقب (بابن مقلة هذا العصر)، ويعد الشاعر القروي أحد أركانه».[3]

و قد ظهر ثمانون عددا من مجلتها إلى حين إصدار القانون البرازيلي الصادر عام 1942م الذي قضى باحتجاب الصحف التي تصدر باللغات الأجنبية فأغلقت المجلة، لكن العصبة استمرت في النشاط. وكان من أهداف العصبة رفع شأن الأدب العربي في (البرازيل)،ومقصد الرابطة القلمية في (نيويورك) بالإضافة إلى إحياء التراث العربي في الأندلس.

---

(1) ينظر،الناعوري عيسى، أدب المهجر: دار المعارف، مصر، ط2، 1967م، ص: 22.

(2) خفاجي محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 106.

(3) ينظر، المرجع نفسه، ص: 91،92.

الرابطة الأدبية:

«أنشأت (في الأرجنتين) عام 1949م،أنشأها جورج صيدح على غرار الرابطة و العصبة الأندلسية ولكن عودة صيدح إلى وطنه عجلت بنهايتها بعد سنتين من تأسيسها قال زكي قنصل (و:1917م) يوم أغلقت الرابطة أبوابها.

وقد أنشأ الأدباء المهجريون العديد من النوادي الأدبية في المهجر الأمريكي الشمالي و الجنوبي من بينها "نادي الوطنية السورية" و" نادي جيل لبنان"، و"جامع سان باولو" و "النادي العربي"، في (بيونس إيرس) عاصمة (الأرجنتين).

بالإضافة إلى ظهور الندوات الأدبية التي تعقد في دور المطابع و الصحف العربية، وفي المحافل العامة و في منازل الأدباء و مواطن سمرهم و لهوهم، ومن الندوات العربية الأدبية المشهورة في المهجر الجنوبي ندوة (رواق المعري) التي أنشأت في أوائل القرن العشرين و (جمعية الخريجين) و (عصبة الأدب العربي) و (جامعة القلم)»[1].

المطلب الثاني: خصائص الشعر المهجري

الخصائص الموضوعية:

من بين الخصائص الموضوعية في الشعر المهجري نجد:

الحنين إلى الوطن:

« يمتلئ الشعر المهجري بعاطفة المغتربين نحو وطنهم، و حنينهم الدائم للعودة.

ففي نفس كل شاعر حنين، لا ينقطع وشوق لاينفذ، وتطلع دائم نحو أرض الطفولة ومهد الذكريات نجد ميخائيل نعيمة في ديوانه (همس الجفون) يصوّر محبّته لوطنه إن أبياته تشي بروح لبنان وما فيه من مظاهر طبيعية: كالبحر و الثلج و الجبال...و غيرها من مظاهر طبيعة لبنان، ففي قصيدته" ترنيمة الرياح" يلتفت شاعرنا إلى الماضي و مراتع الصبا، متمنيا الرجوع إلى الوطن حيث يقول:

"كان لي في قديم الزمان مرتع في رياض الجنان

---

(1) خفاجي محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص: 107.

بعتـــــه بالـــوعـــود هـــل تـــراه يعـــود

لـــو نكثت العهـــود التمســـت السماح"» [1]

يصور حينما كان له في القديم مرتع للجنان، لكن بالوعود باعه، ثم ينتقل متسائلا أترى يعود متمنيا لو نكث عهده و ظل بأرضه.

نزعة التأمل في النفس و الوجود:

«هذه الميزة اختص بها – في الغالب- مهجريو الشمال الأمريكي، ومن بينهم "جبران" و" نعيمة" و " نسيب عريضة" و "أبو ماضي"، و هذه الميزة يتميز بها أدب الرابطة القلمية –خاصة– عن سواه من آداب العرب جميعا، في القديم و الحديث باستثناء القليل منه ا» [2] «كأدب المعرى مثلا، وليس هناك من يجهل قصيدة "المواكب" لجبران التي تجمع في أبياتها المئتين والثلاثة خلاصة فلسفة الحياة:

"ليس في الغابـات موت لا ولا فيها القبور

فإذا نيسان ولّـــى لم يمت معـــه السرور

إن هول الموت وهم ينثن طـــيّ الصـــدور

فالذي عـــاش ربيعا كالذي عاش الدهور"» [3]

يتساءل جبران ما هذا الغاب الذي ينفي عنه الموت، و يثبت له الخلود إلا الخلود إلا لبنان العزيز الذي اندمجت حياته فيه، و كأنه لا يعيش في نطاق نفسه إنما يعيش في نطاق وطنه ،متحدا به حياة وفناءا ، ووجودا وعدما.

يمتاز أدب المهجريين، بالتحرر من القيود و القديم و التجرد من قيود المادة و التحليق في أجواء حرة سامية، يكتشف المجهول، ويستنطق الغيب، ويحلل الأشياء و يعللها، ليصل إلى حقائقها

---

[1] العيسى فضل سالم، المرجع السابق، ص: 84.

[2] ضيف شوقي، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، بيروت، ط 6، 1976م، ص: 266.

[3] المرجع نفسه، ص: 289.

الخالدة و هو أدب أفاضته أرواح حرّة و رتّلته ضمائر صريحة ، لا يجدها و لا يكبلها دون البحث عن الحقيقة.

النّزعة الإنسانية:

«إضافة لكل ما تميّز به الأدب المهجري، من الرّوح الإنسانية، فقد اتسعت آداب المهجريين –بالأصح قلوبهم– للحب المطلق، لكل ما في الوجود، فالإنسانية في مفهومها العام هي نظرة واسعة إلى الحياة، و إلى الوجود، على الأخص إلى المجتمع البشري، و هي الحلم الأكبر الذي يراود أخيلة المفكرين و الشعراء و الفلاسفة، و كل ذي قلب كبير و ضمير حي، و تظهر في ألفاظ المهجريين مثل (يا أخي) أو (يا رفيقي)، و المتأمل في شعرهم و نثرهم، يقف بجلاء على مدى تغلغل الروح الإنسانية في آدابهم، و من ذلك قول"إيليا أبي ماضي": في قصيدته (ابتسم):

"قال: السماء كئيبة و تجهمـــا قلت: ابتسم، يكفي التجهم في السما

قال: الليالي جرعتني علقمـــا قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقمـــــا

فلعل غيرك إن رآك مرنمـــــا طـــرح الكآبة جانبـــــا و ترنمـــا"» [1]

يدعو الشاعر للتبسم و ينظر للحياة على أنها خير، رغم الشر الذي تلقاه من كآبة السماء و علقم الليالي، فلعل غيرك يطرح الكآبة و يفرح بمرآك.

و تظهر هذه النزعة في شعره جليا لاسيما في " الجداول" و " الخمائل" و أما عند جبران الذي حَوْتها مؤلفاته و لاسيما في (النبي) ومن شذراته القصيرة نأخذ من كتابه " رمل وزبد" التي يقول فيها:

«ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة» [2]

و أيضا «اجعلني يالله فريسة الأسد، قبل أن تجعل الأرنب فريستي" [3]و أيضا «البغض جثة راقدة فمن منكم يريد أن يكون قبرا؟» [4]

---

[1] ميرزا زهير،ديوان ايليا ابو ماضي، دار العودة، (د.ط)، (د.ت)، ص: 655.

[2] جبران خليل جبران، رمل و زبد و الموسيقى،منشورات عالم الشباب، بيروت،لبنان،ط2،2006،ص:26.

[3] المرجع نفسه، ص: 22.

[4] المرجع نفسه، ص: 41.

وكل هذه المعاني تلخص نظرة المهجريين إلى الحياة و الوجود، فهم كما يقول "جبران" : «قد بلغوا إلى قلب الحياة فوجدوا الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال. لذلك يرون أكل ما في الوجود إنما وجد ليؤدي قسطه من رسالة الحياة على الوجه الذي أراده له واهب الحياة».[1]

حبّ الطبيعة:

«شعراء المهجر من أخلص أبناء الطبيعة وعشاقها، فهم عميقوا الإحساس بها، عميقوا الحب لها و الاتصال بها، فهم يناجونها، و يستلهمونها، و يتمثلون بها، عناوين دواوينهم وقصائدهم منها مثلا إيليا أبو ماضي سمى دواوينه من الطبيعة مثل "الجداول" الذي نشره عام 1927م "الخمائل" عام 1946م، إضافة إلى ما نجده من عناوين قصائد هؤلاء الشعراء التي حملت اسما لأحد مظاهر الطبيعة أو ارتبط عنوانها بتلك المظاهر حيث تدل على مضمونها مثل قصيدة "زهرة الأقحوان"، "الكنار الصامت"، "الغابة المفقودة" و "النهر المتجمد" لميخائيل نعيمة.

و يتمثلون بها، ويبثونها آمال قلوبهم وآلامها، وأشواق نفوسهم وحيرتها، و هي توحي إليهم بالحنين إذ تذكرهم بما كانوا يجدونه من جمالها الفتّان في ربوع بلادهم، و توحي إليهم بالتأمل العميق في أسرارها، وقد صوّر نعيمة في حياة جبران مدى شعور المهجريين بالطبيعة بصورة دقيقة ،فيقول: " سيان عند الشجرة أأكل ثمرتها إنسان أو ثعبان، أو تفيأ ظلها قنفذ أم غزال، أو تدفأ بحطبها ملاك أم شيطان فالإنسان و الثعبان، و القنفذ والغزال ،والملاك والشيطان، أبناء الغاب الواحد، وللغاب منهم غاية واحدة، وله فيهم مشيئة واحدة، ومن جهلها فعاندها، سحقته فأشقته» [2]

«فنعيمة ينظر إلى الوجود على أنه وحدة كاملة، تتنوع مظاهرها ولكن جوهرهـــــا واحد لا ينفصل». [3]

---

(1) جبران خليل جبران، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران(المعربة)، تر/ أنطوان القوال،دارالجيل،بيروت،(د.ط)،2006،ص: 161.

(2) الناعوري عيسى، المرجع السابق، ص:101.

(3) عوين أحمد، الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، تق/سعيد حسين منصور، دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر الاسكندرية، ط1،2001، ص: 88.

البساطة في التعبير و الرّقة الغنائية:

«تحرر المهجريون من اعتبارات التقليد، و منحوا أنفسهم الانطلاق الذي كانت تعوز أدباء الشرق و شعراءه، سواء في نثرهم أو في شعرهم، لهذا كان أدبهم شيئا جديدا، فكانت الرّقة فظهر النثر الجبراني و الريحاني، و نثر نعيمة بشكل خاص، و نجد قول أبي ماضي في قصيدة بعنوان "شاعر الشهور":

"أيّار، يا شـــاعر الشهور وبسمة الحبّ في الدهـــور

وخالق الزّهر في الـرّوابي وخالق العطر في الزهـــور

وغاسل الأفق و الدراري والأرض، بالنّور و العبير"» [1]

الظاهر في هذه الأبيات أنه ليس حتما أن يتجرّد الشعر من الوزن الواحد و القافية الواحدة لكي يكون غنائيا رقيقا، و إنّما الأصل فيه جمال الخيال، وبساطة التعبير، و الذوق المرهف الذي يعرف كيف يضع اللفظة الشاعرة المعبّرة، دون تكلف أو جهد.

الحريّة الدينية:

«الحريّة تعدّ الدعامة التي قام عليها الأدب المهجري، سواء في المعتقدات الفكرية و المذهبية و الاجتماعية، أو في التعبير و في فنون البيان. فنجد الحرية في التفكير والتعبير و المناقشة و التفسير لشؤون الدين، بعيدا عن روح التعصّب و الجمود، و يعدّ الريحاني و جبران أول المهجريين الذين جهروا برأيهم في الدين و رجاله، رغم اختلاف المنحى الفكري لكل منهما، إلاّ أنهما على رأي واحد في سذاجة المعتقدات الدينية الطائفية التي نشأ أهلهم عليها في الوطن. و قد حملا حملات شعراء على رجال الدين، كان ذلك سببا في اتهامها بالإلحاد و إحراق أحد كتب جبران» [2]

«وفي مقابل هؤلاء الشعراء المسيحيين كان هناك شعراء مسلمون مثل الشاعر القروي الذي يقول في عيد الفطر الذي لايؤمن بدين غير دين العروبة فكل ما يبعث على رفعتها ، ووحدتها

---

[1] ميرزا زهير، المرجع السابق، ص: 369.

[2] الناعوري عيسى، المرجع السابق، ص: 119.

ومجدها هو عيده، و هو مهرجانه، و الرّسول هو باعث هذه الأمة الأول وموحدها بدينه ودعوته فيقول بمناسبة عيد الفطر:

"أكرم هذا العيد تكريم شاعر يتيه بـــآيات النبـــيّ المعظّــم
و لكنّي أصبو إلى عيد أمـــّة محرّرة الأعناق من رزق أعجمي" [1]

الخصائص الفنية:

في جانب الطبيعة:

« تمرّدوا على الغرابة و التكلّف في استخدام اللّغة لعدم ملاءمتها للعصر، وقاموا بتوظيف لغة حيّة سلسلة الألفاظ، وبسيطة التراكيب وجميلة التصوير، مما جعل أدبهم يسير في موكب الحياة و يعبر عن عصرهم».[2]

في جانب الشكل:

«تأثروا بالنموذج الغربي فدعوا إلى وحدة القصيدة، وتماسك أجزائها وركّزوا على وحدة الموضوع و الجوّ النفسي (الوحدة العضوية و الموضوعية) كما كانت دلالات قصائدهم ودواوينهم تختصر في العنوان الجامع المانع، كما نجده في دواوين "همس الجفون" لميخائيل نعيمة و " الخمائل" و " الجداول" لإيليا أبو ماضي».

في جانب الصورة:

«اهتموا بالصورة الفنّية في تشخيص المعاني أو تجسيدها لأنّها أقدر من التعبير المجرّد على توصيل المشاعر و العواطف، فجاءت قصائدهم في أغلبها لوحات فنّية تزخر بالحركة وتعتمد التلميح لا التصريح.

التركيز على اتّخاذ القصّة وسيلة للتعبير:

مما جعل القصيدة تكتتر بأصوات و شخصيات متعدّدة تتحاور و تتصارع لتبيّن عن مكنوناتها النفسية والوجدانية، وتظهر تأملاتها عن الحياة والإنسان».[3]

---

[1] الناعوري عيسى، المرجع السابق، ص: 124.

[2] ينظر، خفاجي محمد عبد المنعم، المرجع السابق،ص:387.

[3] المرجع نفسه، ص: 390.

المطلب الثالث :تعريف ميخائيل نعيمة

مـــولده:

«ولد ميخائيل نعيمة (1889 – 1988م) في بسكنتا في جبل صنين في لبنان من أبوين يتّصفان بالاتّزان الكامل جسدا وروحا، و هو الابن الثالث لهما، تلقّى دراسته الأولى في مدرسة قريته، ثم انتقل إلى دار المعلمين الروسية عام 1902م، في (الناصرة بفلسطين)، ثم تابع دراسته في (روسيا) على نفقة هذه المدرسة، لأنّه كان من النجباء. ثم سافر عام 1906 م، إلى (أوكرانيا) ودرس فيها خمس سنوات سافر و أخوه إلى أمريكا عام 1911م والتحق بجامعة (واشنطن) عام 1912م.

من بين أعماله : " همس الجفون" ، " الغربال" عام 1923م، وكتب في المسرحية أعمالا منها: "الآباء و البنون" ، و "أيوب" عنيّ فيها بالجوانب الاجتماعية و الاتجاهات الإنسانية العامة، كما كتب في القصة القصيرة منها:"كان يا مكان" ، "أبو بطة"».[1]

أما في الرواية فقد كتب" مردود" كتبت بالإنجليزية و العربية، و كتاب " جبران خليل جبران" التي تعدّ من كتب التراجم الفردية في المكتبة العربية، فهو فن روائي و سيرة ذاتية.

وفاته:

«رحل عن دنيانا في أواخر فيفري عام 1988م، و قد شغل أقلام العديد من العالميين العرب و الغرب، فكتب عنه المستشرق الروسي"كرا تشو فسكي" فدخل اسمه بوابة الأدب العالمي».[2]

---

[1] خفاجي محمد عبد المنعم، دراسات في الادب العربي الحديث و مدارسه، دار الطباعة المحمدية، المطبعة البولسية، (د. ط) (د.ت)، ص: 353.

[2] خفاجي محمد عبد المنعم، قصة الأدب المهجري، المرجع السابق، ص: 128.

المطلب الأول: تعريف اليأس:.

مفهوم اليأس:

أ) **لغة:** يأس: اليأس: القُنوط وقِيل: اليأس نقيض الرجاء، يئِس من الشيء يَيْأس ويَيْئَسِ، نادر عن سيبويه، ويئس ويَؤُسَ عنه أضاً، وهو شاذ، قال: وإنما حذفوا كراهية الكسرة مع الياء، وهو قليل والمصدر اليأس واليآسة واليأس وقد استيأس وأيْأَسته.[1]

وفي قوله تعالى: ﴿افَلَمْ ييْأس الذين آمنوا أن لويشاء الله لهدى النّاس جميعاً﴾[2]

ب) اصطلاحاً: اليأس إحباط يصيبُ الروح والعقل معاً فيفقد الإنسان الأمل في إمكانية تغيير الأحوال والأوضاع والأمور من حوله واليأس هو عمى البصيرة وعدم الصبر.[3]

المطلب الثاني: تعريف قصيدة "النهر المتجمد".

«"النهر المتجمد" نص شعري يمثل الرومانسية في الشعر العربي الحديث، وهذه القصيدة من ديوان "همس الجفون" لميخائيل نعيمة، وهو حكاية قلب، وتأملات فكر، وتجربة وإيمان، وموقف من المجتمع.

قصيدة "النهر المتجمد" هي قصيدته الأولى تاريخياً نظمها ميخائيل بالروسية في عام 1910م يوم كان طالباً في سِمنار بولتافا ثم ترجمها بنفسه إلى العربية في عام 1917م بعد تخرجه من جامعة واشنطن في مدينة سياتل».[4]

إن المتأمل في قصيدة "النهر المتجمد" يلاحظ أنها نابعة من عالم نعيمة النفسي الداخلي دون ارتباطها بتجربة خاصة من الحياة، بل تصور لحظات نفسية مطلقة من: اليأس والكآبة والشك والحيرة والتأمل، فالشاعر يصف لنا "النهر المتجمد" القاسي في فصل الشتاء، وعودته إل حياته وهو في ريعان شبابه في فصل الربيع، ويرى بأن قلبه والنهر مكبلان ومقيدان بالأغلال والسلاسل، إلا أن النهر ستفك أغلاله عاجلاً أم آجلا، أما قلبه فلا يزال مكبلا وسيظل كذلك.

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، مادة: ي، أ، س، مج4، ص: 352.

[2] سورة الرعد، الآية 31.

[3] ينظر، www.alameran.com/772.html, 9 :30,7/5/2013

[4] ينظر، http://mitryboulos blogspot.com/2011/03/blog-rost-6677.html,20 :52,13/06/2012

المطلب الثالث: تحليل قصيدة "النهر المتجمد"

يفتتح الشاعر قصيدته مخاطباً النهر متسائلا عن حاله، وعن سبب نضوب مائه وانقطاع خريره فنلاحظ أن ألفاظ السطر الأول توحي لنا بأن السكون يسيطر على الوضع في قوله:

"يا نهر هل نضبت مياهُكَ فانقطعتَ عن الخرير؟[1]

ويواصل تساؤله في السطر الموالي حيث يقول:

أم قد هرمتَ وخارَ عزمكَ فانثنيتَ عن المسير؟"[2]

وكل ألفاظ هذا السطر تدل على الضعف خاصة في لفظة (هرمتَ)، أمّا عبارة (فانثنيتَ عن المسير) فتبعث على شدّة الحزن والأسى.

وفي السطر الثالث يظهر الشاعر تحسره على النهر الذي كان مظهراً من مظاهر الحركة والحيوية والنشاط في قوله:

"بالأمس كنت مرنماً بين الحدائق والزهور".[3]

فلفظة بالأمس تعود على فصل الربيع الذي يمتاز بالحركة، ويُجسد ذلك باستخدام لفظة (مُرنّماً) إذ توحي بالفرح، و(الحدائق) و(الزهور) التي تبعث على الاخضرار والحياة والأمل.

وينتقل الشاعر في السطر الرابع ليشبه النهر بالرجل الحكيم صاحب الخبرة الذي يحكي لنا الحكم والخبرات التي مرّت عليه من قبل في قوله:

"تتلو على الدنيا وما فيها أحاديث الدّهور".[4]

أمّا في ألفاظ السطر الخامس نلاحظ سيرورة الحركة، حيث عبر عن الحياة وحيويتها في مفردتي: (تسير)، (في الطريق).

فيقول:

" بالأمس كنتَ تسيرُ لا تَخشى الموانع في الطريقْ".[5]

---

[1] ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1971، مج4، ص: 10.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أمّا في السطر الذي يليه فقد عبر الشاعر عن الموت والنهاية حيث قال:

واليومَ قد هبطَتْ عليكَ سكينة اللّحد العميق.[1]

فلفظة (السكينة) في حدّ ذاتها يدل معناها على عدم الحركة، كما أن الفعل (هبطت) والجار المجرور (عليك) الموظفين في هذه العبارة دلاّ على سرعة نزول السكينة من مكان مرتفع على هذا النهر، فقطعت حركته وأسكنتْ سيره، ثم لاحظ معي دور مفردة (اللّحد) التي توحي بالوحشة وتدُل على الموت والفناء، والعجيب أنّ الشاعر لم يكتف بهذه المفردة المخيفة في ذاتها دون أن يلبسها صفة العمق لتتجلى الموانع أكثر ويستشعر القيد، ويلمس هبوط سريع من السماء لسكينة اللحد العميق على النهر، الذي كان يسير رقراقاً فاستحالت الحركة إلى سكون.

وينتقل في السطر السابع ليبيّن حنينه واشتياقه للنهر في فصل الربيع قائلا:

"بالأمس كنتَ إذا أتيتُك باكياً سليّتني".[2]

من خلال تأملنا لألفاظ هذا السطر يظهر لنا جلياً شدّة تعلق الشاعر بالنهر لأنه كان بمثابة أنيسه في وحدته، فإذا أراد أن يشكو همومه، وجد فيه الأذن الصاغية والملجأ الآمن الذي يخلصه من أحزانه وهمومه.

أمّا في السطر الموالي نلاحظ أن الشاعر يقوم بتوجيه عتاب للنهر بما يجيش في خاطره من أسى وحزن على حال النهر في قوله:

"واليوم صرتَ إذا أتيتك ضاحكاً أبكيتني".[3]

وهو يصف لنا هنا شدّة حزنه على النهر، بعد نضوب مائه فنلاحظ التحول من حالة الحركة إلى حالة السكون في مفردتي (ضاحكاً)، (أبكيتني) المتطابقتين مما دل على شدّة تعلق الشاعر بالنهر، فكان يغدو فرحاً لملاقاة النهر، فيبكيه بدل أن يشاركه فرحته.

وفي السطرين المواليين يقول الشاعر:

"بالأمس كُنتَ إذا سمعتَ تنهُّدي وتوجعي

تبكى. وها أبكي أنا وحدي، ولا تبكي معي".[4]

---

[1] ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، الصفحة السابقة: 10.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فالشاعر يوجه عتابا للنهر لعدم مواساته له، كما يتعجّب من عدم وقوفه إلى جانبه في وقت شدّته ووحدته، فيوظف ألفاظ تدل على الألم والحسرة والحزن واليأس في قوله:

(تنهّدي)، (توجُّعي)، (أبكي).

أمّا في السطر الحادي عشر يعود الشاعر ليتساءل مجدداً قائلاً:

"ما هذه الأكفانُ؟ أم هذي قيودٌ من جليدْ"[1]

يبين لنا الشاعر أسفه على حال النهر، ويتساءل لما أصبح كئيباً مقيداً، وهذا دليل على سكونية النهر في فصل الشتاء، وقساوة هذا الفصل عليه لما فيه من بردٍ وقيد.

ويقول في السطر الموالي:

"قد كبّلتْكَ وذللتك بها يدُ البرد الشديد؟"[2]

أصبح النهر مكبلا ساكناً غير قادر على الحركة، ذلك لأن ماءه قد جمد وأحاطت به الثلوج من كل جانب، كما نلاحظ أن الشاعر هنا اتخذ من فصل الشتاء رمزاً للموت والفناء والسكون ويستمر في سكونيته في السطرين المواليين إذ يقول:

"ها حولك الصفصاف لاورقٌ عليه ولاجمالْ

يجثو كئيباً كلما مرّت به ريح الشمال".[3]

يجسد لنا الشاعر هنا فصل الخريف، ويصف لنا تساقط أوراق الصفصاف، وكيف تغدو الطبيعة قبيحة بعد أن كانت جميلة في فصل الربيع، فالمعروف على الخريف الكآبة، ويتضح جلياً في هذين السطرين مشاعر القلق والتشاؤم، والسبب هو فقدان الطبيعة لبهائها بتساقط أوراق الأشجار بفعل الرياح.

أمّا في الأسطر الموالية يعبر الشاعر عن نزعته التشاؤمية في الحياة فيقول:

"والحور يندبُ فوق رأسك ناثراً أغصانهُ

لا يسرح الحسونُ فيه مردداً ألحانه

تأتيه أسرابٌ من الغربان تنعق في الفضا

فكأنها بنعيبها عند الصباح وفي المساء

---

(1) ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، الصفحة السابقة: 10.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص: 11.

جوق يشيع جسمك الصافي إلى دار البقاءْ"[1]

كل الألفاظ الموجودة في هذه الأسطر تعبر عن شدّة حزن الشاعر وأساه من مثل: (يندبُ)، (يشيع)، (دار البقاء)، وكلها توحي لنا بالموت والفناء واليأس.

وها هو الشاعر يعود للتفاؤل بالحياة، بعودة النهر إلى سابق عهده، بانصراف فصل الشتاء فصل الجمودوالسكون، وعودة فصل الربيع فصل الحركة والحياة فيقول:

"لكن سينصرف الشتا وتعود أيّام الرّبيعْ

فتفك جسمك من عقالٍ مكَّنَتْه يد الصقيع"[2]

ويبقى الشاعر متفائلا بعودة الحياة والحرية فيقول:

"تكرّ موجتك النقية حرّة نحو البِحارْ"[3]

في دلالة هذا السطر ألفاظ تبعث على الحركة مثل لفظتي: الموج، البحار اللتان تبعتان على الحياة والحيوية، وينتقل الشاعر من الحركية إلى السكونية في السطر التالي فيقول:

"حبلى بأسرار الدُّجى ثملى بأنوار النّهارْ"[4]

فلفظة (الدُّجى) هنا تعبر على السكون الذي يكون في آخر الليل، حيث يعمّ الظلام والهدوء فالليل بطبيعته حامل للأسرار وكاتم لها، ويضيف لفظة (ثملى بأنوار النهار) التي تحمل دلالة عدم الوعي والرشاد فهي فرحة ومنتشية بالمستقبل، وأنوار النهار هي ما سيتحقق من سرور وبهجة وفلاح مستقبلا.

ثم يقول:

"تعود تبسم إذ يلاطف وجهك الصّافي النسيمْ

وتعود تسبح في مياهك أنجمُ الليل البهيم".[5]

---

[1] ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، ص: 11.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

نلاحظ في هذين السطرين ابتهاج الشاعر، وعودة البسمة إلى وجهه من جديد، فنجده يشبه لنا النهر بإنسان له صفات وحركات، وقد جسد ذلك باستعمال الألفاظ التالية: (تعود) (تبسم)، (وجهك)، (تسبح)، وكلها تدل على الإنسان لا على النهر.

كما أبرز لنا لفظة أنجم التي تدل على سرعة الحركة من خلال صيغتها فقال: (أنجم) عوض نجوم، وأضاف لفظة (تسبح في مياهك)، وهو لا يقصد السباحة في النهر، إنما انعكاس ضوء النجوم وبروزه في مياه النهر الصافية، وهذا يدلّ على الحركة في حال تحرك مياه النهر.

كما عبر الشاعر عن ضوء البدر في قوله:

"والبدرُ يبسطُ من سماه عليك ستراً من لُجَيْن

والشمس تستر بالأزاهر منكبيك العاريين".[1]

صور لنا الشاعر البدر الذي تشع أنواره كأنها حجاب من فضة، لذا ذكر اللجين المنبعث من البدر، وذلك لما للبدر من قيمة ومكانة في نفسه، ويواصل حديثه بتصوير النهر المغطى المستور بالأزاهر، وقد وظف لفظة الشمس لما فيها من غذاء وامداد للأزاهر، وكذلك يفعل النهر.

ويختتم بقوله: (منكبيك العاريين) ليعود ويذكرنا بحال النهر في سابق عهده (فصل الشتاء) عندما كان عارياً متجمداً غير قادرٍ على الحركة.

وفي الأسطر التالية يصف لنا حال الطبيعة قائلاً:

"والَحوْرُ ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن

ويعود يشمخ أنفه ويميس مُخْضَرَّ الفنن

وتعود للصفصاف بعد الشيب أيام الشباب

فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب".[2]

يتفائل الشاعر بعودة الربيع، فبعودته تعود الطبيعة إلى شبابها فتتفتح الأزهار، وتورق الأشجار، وتتدفق مياه الأنهار، وبطبيعة الحال يحيا هذا النهر المتجمد، فيعود إلى حركته المعهودة ويورق الصفصاف ويخضَرُّ من جديد، فيعود الحسون ليغرد من جديد متبشراً بالحياة، فرحاً بهذا الفصل، والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن.

---

[1] ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، الصفحة السابقة: 11.

[2] المصدر نفسه، ص: 12.

ويواصل قوله:

"قد كان لي يا نهرُ قلبٌ ضاحكٌ مثل المروج

حرّ كقلبك فيه أهواءٌ وآمالٌ تموج"[1]

يعرض الشاعر في هذين السطرين مقارنة بين قلب النهر وقلبه، فيعتبره كائناً عاقلا فيناديه قائلا: يانهر، والياء هي ياء النداء، ولا يصحُ أن تطلق على غير الإنسان، كما يخبرنا الشاعر عن الحرية والآمال التي كانت تتموج وتجول في قلبه، كالنهر المتدفق الدائم الجريان الذي يبعث على التحرر والحركة.

وفي قوله:

"قد كان يُضحي غير ما يُمسي ولا يشكو الملل"[2]

يُسقط الشاعر هنا حالته النفسية التي كان عليها من قبل، والتي تتمثل في السعادة والأمل فهو بدوره وظف لفظتي يضحي ويمسي للدلالة على الحركية والتغير من حالة إلى حالة أحسن منها، وكان لا يتورّم ولا يشكو الملل وهو بذلك لا يسمح لليأس أن يدخل قلبهُ.

وفي الأسطر الموالية يقول:

"واليوم قد جمدتْ كوجهك فيه أمواج الأمل

فتساوت الأيام فيه: صباحها ومساؤها

وتوازنت فيه الحياةُ: نعيمها وشقاؤها"[3]

يخاطب الشاعر في هذه الأسطر "النهر"، ويبين له الحالة التي آل إليها عند ما سيطر عليه اليأس فجمدت مشاعره وسكنت آماله، كما تُجمِد عواصف الشتاء القاسية مياه النهر، وتمنعها من الحركة والجريان، ومن أثر هذا التجمد تولّد لدى الشاعر حالة من اليأس الشديد فأصبح لا يميز بين الصباح والمساء ولا بين النعيم والشقاء، وكل شي في حياته أصبح ساكناً يفتقر إلى الحركة والحيوية والنشاط.

---

[1] ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، الصفحة السابقة: 12.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أمّا في السطرين المواليين نلاحظ تماثل في قوله:

"سيّانِ فيه غذا الربيع مع الخريف أو الشتاءْ

سيّان نوحُ البائسين، وضحك أبناء الصفاءْ"[1]

فاحساس الشاعر وشعوره بما حوله واضح، فالحالة التي يعيشها في الربيع والخريف يعيشها في الشتاء، والإحساس الذي ينتابه عند سماع نوح البائس هو نفسه عند سماع ضحك الأطفال ومرحهم، فالسعادة والحزن عنده سيّان.

وفيما يلي يُعبر الشاعر عن شعوره بالنبدوالعزلة قائلا:

"نَبَذَتْه ضوضاءُ الحياة فمال عنها وانفرد

فغذا جماداً لا يَحِنّ ولا يميلُ إلى أحد

وغدا غريباً بين قومٍ كان قبلاً منهمُ

وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغزٌ مبهمُ"[2]

فبعد ما أحس أنّه غير مرغوب به في ضوضاء الحياة، تنحّى عن الدنيا واختار العزلة، وصار جماداً لا يحس ولا يميل إلى أحد ونتيجة هذه العزلة والانطواء أصبح شبه ميت.

وفي قوله: غدا غريباً نستشعر أن اليأس بلغ أعلى درجاته في نفسية الشاعر فأصبح يحس بالغربة وسط أهله وقومه.

وها هو الشاعر يصل إلى آخر سطرين معبراً عن شدة حزنه ويأسه وكآبته الأبدية قائلاً:

"يا نهرُ ذا قلبي، أراه كما أراك مكبلا

والفرق أنك سوف تنشط من عقالك، وهو ...لا"[3]

وقد عقد في هذين السطرين مقارنة بين قلبه والنهر، فرأى أن النهر سوف يتحرر ويعود للحركة والجريان، أما قلبه فسيظل في سكونه وقيده إلى الأبد، ونلاحظ أن الشاعر ختم القصيدة بأداة "لا" وذلك ليوحي لنا بقمة اليأس وعدم التغيّر.

---

[1] ميخائيل نعيمة، المصدر السابق، الصفحة السابقة: 12.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مضمون القصيدة:

تتضمن القصيدة عاطفةحزن ويأس عميقين، وهي عاطفة قويه ظهرت في تلك العبارات التي وظفها الشاعر مما دل على شدة تأثره وما عاناه من انفعالات حارّة عند كتابة القصيدة، وهي عاطفة صادقة أملتها على الشاعر ظروف هجرته في سن مبكرة (حيث كان طالباً في روسيا) كما أملاها تلاحق الأحداث المأساوية في بلده لبنان من حروب أهلية وصراعات طائفية، وكذلك ما كان يعانيه العالم آنذاك من فوضى الحروب والقتال بين الدّول، وهذا ما يؤكده ما كتبه الشاعر نفسه في قصيدة "النهر المتجمد" الحاشدة بألفاظ اليأس من مثل:

نضبت، انقطعت، هرمت، خار عزمك، انثنيت عن المسير، السكينة، اللحد، البكاء التنهد، التوجع، الأكفان، التكبُل، القيود، الكآبة، الندب، الرثاء، دار البقاء، العقال، المصائب المحن، الشيب، الشكوى، الملل، الشقاء، البؤس، الغربة، الابهام.

ها نحن نصل إلى آخر عتبة في هذا البحث الذي نتمنى أن نكون قد استوفينا جوانبه وأسهمنا في الإفادة ولو بالقدر القليل، ومما لا شك فيه أنّه بعدما بذلنا من جهد في مناقشة هذا الموضوع وتحليله تكون قد انطبعت في أذهاننا جملة من الاستنتاجات تمثل خلاصة أفكارنا، فقد حاولنا استجماع ظاهرة "اليأس في الشعر المهجري" من خلال مرورنا بمحطات:

- تعريف الهجرة في الأدب وهي البروح والانتقال والاتحال إلى أصقاع الأرض المختلفة من قبل أفراد أو جماعات ثقافية، وفي الهجرة إغتراب وغربة.
- هناك أسباب وجيهة للهجرة منها: (سياسية، اقتصادية، اجتماعية...).
- نشأة الشعر المهجري، في بيئة غريبة جديدة، لذلك أخذ شيئا في المضون من هذه الغربة.
- خصائص الشعر المهجري وقد تجسدت في الخصائص الموضوعية والخصائص الفنية.
- يلاحظ أن العناوين في ديوان ميخائيل نعيمة ترتبط بشكل واضح بنفسيته في المهجر.
- من خلال دراستنا لقصيدة "النهر المتجمد" نلاحظ أن هناك ترابط وثيق بين الحركة والسكون في الألفاظ والعبارات الدالة على اليأس، وقد ظهر لنا أنا ما يرتبط بالسكون كان أكثر وأقرب في نفس الشاعر.
- ارتباط الشاعر في قصيدته بالظواهر الطبيعية، التي شخّصها وجعلها محادثا ومحاورا له، وهذا ينمّ على الشعور بالانعزال والاغتراب، لأن الشاعر كان في بيئة جديدة غريبة عنه، وحتى لو كان في بلده لشعر بالاعتراب نفسه وذلك لأن البيئة والمجتمع ارتبطا وتقيدا بالقديم (الكلاسيكي).

تلك أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث الذي بذلنا فيه قصارى جهدنا وعصارة فكرنا، و لم ندخر وسعا في سبيل اخراجه على صورة نرجوا من الله عزّوجلّ أن يقبلها وأن يجعلها في ميزان حسناتنا، هذا وما كان من توفيق فمن الله، وما كان غير ذلك فمن أنفسنا والشيطان.

وأخيرا ... نحند الله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً يوازي نعمه ويكفئ مزيده أن وفقنا لاتمام هذا البحث، ونسأله سبحانه أن هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر و المراجع

1-جبران خليل جبران: رمل وزبد والموسيقى، منشورات عالم الشباب، بيروت، لبنان ط2، 2006م.

2-جبران خليل جبران: المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران (المعربة) تق/أنطوان القول، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 2002م.

3-خفاجي محمد عبد المنعم: دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، دار الطباعة المحمدية، المطبعة البوليسية، (د. ط)، (د. ت. ن).

4- خفاجي محمد عبد المنعم: قصة الأدب المهجري، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط 3 1980م.

5- محمد خفاجي: مدارس الشعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2004م.

6- ضيف شوقي: دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، بيروت، ط 6 1970م.

7-عوين أحمد: الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، تق/سعيد حسين منصور دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2001م.

8- العيسى فضل سالم: النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القليمة، المطبعة العربية، عمان الأردن، (د. ط)، 2006م.

9-ابن منظور: لسان العرب، تح/ عامر أحمد حيدر، مر/ عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، مج3،4.

10- سراج نادر جميل: شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، مصر، (د.ط)، 1964م.

11-ميخائيل نعيمة: المجموعة الكاملة، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1971م، مج4.

12-ميرزا زهير: ديوان ايليا أبو ماضي، دار العودة، (د. ط)، (د. ت. ن).

13-الناعوري عيسى: أدب المهجر، دار المعارف، مصر، ط2، 1967م.

المجلات:

1 بوناح كمال: بعض المفاهيم والمقاربات الخاصة بدراسة الهجرة، مجلة العلوم الإنسانية جامعة متوري، قسنطينة، الجزائر، ع24، ديسمبر 2005.

المواقع الإلكترونية:

1- http://mitryboulos.com/2011/03/blog.post6677.html.
يوم:2012/06/13 على الساعة 20:52

2- http://www.alameron.com/772.html.
يوم:2013/05/7على الساعة 9:30.

فهرس الموضوعات:

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ.ب
تمهيد	3
المبحث الأول: ماهية الشعر المهجري	4
المطلب الأول: نشأة الشعرب المهجري	4
1.مفهوم الهجرة لغة واصطلاحاً	4
2.أسباب الهجرة	6.4
3.نشأة الأدب المهجري	7
4.الجماعات الأدبية العربية في المهجر	9.7
المطلب الثاني: خصائص الشعر المهجري	10
1. الخصائص الموضوعية	14.10
2. الخصائص الفنية	15
المطلب الثالث: ميخائيل نعيمة	16
1. مولده	16
2. أعماله	16
3. وفاته	16
المبحث الثاني: ظاهرة اليأس عند ميخائيل نعيمة "النهر المتجمد" نموذجاً	17
المطلب الأول: تعريف اليأس	17
1. لغة واصطلاحاً	17
المطلب الثاني: تعريف قصيدة "النهر المتجمد"	17
المطلب الثالث: تحليل قصيدة "النهر المتجمد"	18
خاتمة	26
قائمة المصادر والمراجع	28
فهرس الموضوعات	
الملاحق	

Back:
Rashid Ayyub, Unknown, Nadrah Haddad, Nasib Aridah, Wadi` Bahut.
Front:
Amin al-Rihani, William Catzeflis, Abd al-Masih Haddad, Ilyas `Ata Allah.

الرابطة القلمية أدباء المهجر الشمالي

قصيدة "النهر المتجمد"

يا نهرُ هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخرير ؟
أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المسير؟
بالأمسِ كنتَ مرنماً بين الحدائــقِ والزهــور
تتلو على الدنيا وما فيها أحاديــثَ الدهــور
بالأمس كنتَ تسير لا تخشى الموانعَ في الطريق
واليومَ قد هبطتْ عليك سكينةُ اللحدِ العميق
بالأمس كنــتَ إذا أتيتُكَ باكيــاً سلَّيْتَنــي
واليومَ صــرتَ إذا أتيتُكَ ضاحكــاً أبكيتنــي
بالأمسِ كنتَ إذا سمعتَ تنهُّــدِي وتوجُّعِي
تبكي ، وها أبكي أنا وحدي، ولا تبكي معي!
ما هذه الأكفانُ ؟ أم هذي قيــودٌ من جليد
قد كبَّلَتْكَ وذَلَّلَتْــكَ بها يدُ البــرْدِ الشديــد ؟
ها حولك الصفصافُ لا ورقٌ عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرَّتْ بــهِ ريــحُ الشمــال
والحَوْرُ يندبُ فوق رأسِــكَ ناثــراً أغصانَهُ
لا يسرح الحسُّــونُ فيــهِ مــردِّداً ألحانَــهُ
تأتيه أسرابٌ من الغربــانِ تنعــقُ في الفَضَا
فكأنها ترثِي شباباً من حياتِــكَ قــد مَضَــى
وكأنــها بنعيبها عندَ الصبــاحِ وفي المساء
جوقٌ يُشَيِّعُ جسمَــكَ الصافي إلى دارِ البقــاء
لكن سينصرف الشتا ، وتعود أيــامُ الربيع
فتفكّ جسمكَ من عِقَالِ مَكَّنَتْهُ يــدُ الصقيــع
وتكرّ موجتُكَ النقيةُ حُرَّةً نحــوَ البحَــــار
حُبلى بأسرارِ الدجى ، ثملى بأنــوارِ النهــار

وتعود تبسمُ إذ يلاطف وجهَكَ الصافي النسيم
وتعود تسبحُ في مياهِكَ أنجمُ الليلِ البهيـــم
والبدرُ يبسطُ من سماه عليكَ ستراً من لُجَيْـــن
والشمسُ تسترُ بالأزاهرِ منكبَيْـــكَ العارِيَيْـــن
والحَوْرُ ينسى ما اعتراهُ من المصائـــبِ والمِـــحَن
ويعود يشمخ أنفُهُ ويميس مُخْضَـــرَّ الفَنَـــن
وتعود للصفصافِ بعد الشيبِ أيامُ الشبـــاب
فيغرد الحسُّـــونُ فوق غصونهِ بدلَ الغـــراب
قد كان لي يا نـــهرُ قلبٌ ضاحكٌ مثل المروج
حُرٌّ كقلبِكَ فيه أهـــواءٌ وآمـــالٌ تمـــوج
قد كان يُضحي غير ما يُمسي ولا يشكو المَلَل
واليوم قد جمدتْ كوجهِكَ فيه أمواجُ الأمـــل
فتساوتِ الأيـــامُ فيه : صباحُهـــا ومســـاؤها
وتوازنَتْ فيه الحياةُ : نعيمُـــها وشقـــاؤها
سيّان فيه غدا الربيعُ مع الخريفِ أو الشتـــاء
سيّان نوحُ البائسين ، وضحكُ أبناءِ الصفاء
نَبَذَتْهُ ضوضاءُ الحياةِ فمـــالَ عنها وانفـــرد
وغـــدا جماداً لا يَحِنُّ و لا يميلُ إلى أحـــد
وغدا غريباً بين قومٍ كـــانَ قبـــلاً منهـــمُ
وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغـــزٌ مبهـــمُ
يا نـــهرُ ! ذا قلبي أراه كما أراكَ مكبَّـــلا
والفرقُ أنَّك سوفَ تنشطُ من عقالِكَ، وهو... لا.